عودة الإمام فيصل بن تركي من مصر (الأولى والثانية) من خلال المصادر والوثائق المحلية والعثمانية

د. ناصر بن محمد الجهيمي
دارة الملك عبدالعزيز

شارك الإمام فيصل بن تركي في الدفاع عن الدرعية في شعيب غبيرا منذ حصارها يوم الثلاثاء ١٢٣٣/٥/٣هـ الموافق ١٨١٨/٤/٨م تحت قيادة والده الإمام تركي بن عبدالله[١]. وبعد استسلام الإمام عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز يوم الأربعاء ١٢٣٣/١١/٩هـ الموافق ١٨١٨/٩/٩م بعد مقاومة باسلة نقل إلى مصر. وقد ذكر ابن بشر أنه نقل بعد يومين من الاستسلام، ولم يكن بصحبته من قومه إلا ثلاثة أو أربعة رجال[٢].

لذلك فإن ما ذكره الشيخ عبدالرحمن بن حسن في كتابه المقامات[٣] من أن أسرة الإمام عبدالله تبعته إلى مصر بعد سفره يؤكد عدم مرافقتها له، إذ يقول الشيخ عبدالرحمن في المقامات ما نصه: "وروّح من روّح لمصر بعد روحة عبدالله بن

(١) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج ١، ص ٤٠٣، دارة الملك عبدالعزيز، أحداث عام ١٢٣٣هـ.

(٢) ابن بشر ج١، ص ٤٢١.

(٣) قامت دارة الملك عبدالعزيز بنشره بتحقيق الدكتور عبدالله المطوع.

سعود – رحمه الله – تبعه عياله وإخوانه وكبار آل الشيخ". وقد ذكر الجبرتي أن وصول الإمام عبدالله إلى القاهرة يوم الاثنين ١٢٣٤/١/١٧هـ الموافق ١٨١٨/١١/١٥م[٤].

وكان عدد من نقل من أسرة الإمام عبدالله ومن تبعهم من الدرعية إلى مصر (٣٥١) شخصاً بموجب البيان الذي أرسله إبراهيم باشا إلى والده محمد علي في ١٢٣٤/٣/٢٠هـ (١٨١٩م)[٥]، ووصلوا إلى مصر في شهر رجب عام ١٢٣٤هـ/مايو ١٨١٩م[٦]. ويشير الجبرتي إلى أنهم سكنوا في حي يعرف بخطة الحنفي[٧].

لكن الوثائق العثمانية تشير إلى أن الذين وصلوا إلى مصر (٢٨٥) فرداً؛ مما يعني تخلف عدد منهم، وهرب بعضهم كما ورد في عدد من المصادر مثل الوثيقة العثمانية التي ذكرت هرب محمد بن تركي وفراره إلى اليمن[٨].

وقد كان من ضمن المنقولين إلى مصر فيصل بن تركي ومعه أسرته، وهم إخوانه وعددهم أربعة، وأخواته اثنتان، ووالدته، وثمان من جواريه، وسبعة من عبيده وخدمه، وذلك كما ورد في الدفتر البياني لأسرة الإمام عبدالله الذين وصلوا إلى مصر.

(٤) الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٣، ص٥٩٤ – ٥٩٦.

(٥) الأرشيف العثماني تصنيف Hatti Hamayun 19698 – B.

(٦) الأرشيف العثماني Hatti Hamayun 19698.

(٧) الجبرتي ج٣، ص ٦٢٩.

(٨) الأرشيف العثماني Hatti Hamayun 19698.

وقد ورد في القائمة المرسلة من محمد علي إلى السلطان العثماني المؤرخة في ١٢٣٤/٧/٢٤هـ أنه تم تسجيل الأسماء وضبطها من أجل إعطائهم المخصصات المالية المقررة لهم(٩).

أما عن عودة الإمام فيصل من مصر إلى نجد فلم يرد في الوثائق العثمانية والوثائق المحفوظة في دار الوثائق المصرية التي بين أيدينا، وكذلك المصادر المحلية إشارة إلى كيفية تلك العودة، وكل ما يتوافر هو نص ابن بشر في أحداث عام ١٢٤٣هـ/١٨٢٨م حيث يذكر ما نصه: "أقبل الإمام فيصل بن تركي من مصر هارباً، وقدم على أبيه في الرياض، واستبشر الإمام والمسلمون بقدومه..."(١٠).

وعودة الإمام فيصل من مصر عام ١٢٤٣هـ/١٨٢٨م تدل على أنه بقي أكثر من تسع سنوات، ومن المعلوم أن الإمام تركي كان يراسل من كان في مصر من آل سعود وآل الشيخ يدعوهم للعودة.

أسره للمرة الثانية ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م:

في شهر شعبان من عام ١٢٥٤هـ الموافق شهر فبراير ١٨٣٨م قدم خورشيد باشا ومعه الأمير خالد بن سعود إلى الدلم، ودارت بينه وبين الإمام فيصل معارك عدة حتى علم أن كبار من معه من أهل الحوطة قد راسلوا جماعتهم الذين كانوا مع خورشيد باشا يطلبون الأمان، وقد ذكر ابن بشر أسماء رؤسائهم، منهم راشد بن حسين وفوزان بن رشود من

(٩) الأرشيف العثماني Hatti Hamayun 19698.

(١٠) ابن بشر ج٢، ص ٦٣.

آل شريم من أهل الحوطة، ومنهم فوزان بن محمد وإبراهيم بن عبدالله بن حسين أبو ظهير من رؤساء بني تميم؛ فتدارك الإمام فيصل الأمر، وقال لهم: "إما أنكم احربوا معنا أو اخرجوا عنا، ولا تفتوا في عضدنا". فقالوا: "صالحنا الباشا". فقال الإمام فيصل: "إذا كان الأمر كذلك؛ فاصبروا حتى نأخذ الصلح والأمان على بلدنا وجنودنا وأموالنا"، وكتب إلى خورشيد باشا يطلب الصلح له ولمن معه من الجنود ولأهل الدلم ومن تابعه من أهل العارض وغيرهم؛ فأعطاه خورشيد باشا ما طلب شريطة أن يتوجه إلى مصر لمواجهة محمد علي باشا، فتم الصلح، وتجهز الإمام فيصل للرحيل في نهاية رمضان من عام ١٢٥٤هـ/ مارس ١٨٣٨م، ومعه ابناه عبدالله ومحمد وأخوه جلوي وابن أخيه عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله، فساروا إلى المدينة المنورة ومنها إلى مصر. ويقول ابن بشر ما نصه: "وأنزلوه في بيت، وجعلوا عنده حارساً يحفظونه، وصار في مكانه ذلك يحيي غالب الليل بالتهجد والصلاة، وفي نهاره بين صلاة وتلاوة قرآن، وكان يتردد إليه كثير من أهل مصر إذا كان في أحد منهم ألم وحمى أو غير ذلك يأتونه يقرأ عليهم، وكانوا يرون أثر الشفاء من قراءاته ودعائه، ومن أجل ذلك ازداد عندهم تكريماً وتعظيماً. ذكر لي أنه خرج من مصر هذه المرة، وأنهم يترددون إلى مكانه يزورونه ويستشفون به..."(١١).

وتكاد المصادر التاريخية تجمع على خروج الإمام فيصل من نجد إلى مصر بهذه الصفة.

(١١) ابن بشر ج٢، ص ١٧١ - ١٧٣.

إلا أن الرحالة وليم بلجريف الذي زار الرياض عام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦٢م؛ أي: قبل وفاة الإمام فيصل بأربع سنوات يذكر أن الإمام فيصل بعد خروجه من نجد أدى فريضة الحج متنكراً، ثم اتجه إلى دمشق، وزار المسجد الأقصى في القدس، كما زار كثيراً من مدن الساحل السوري، ثم عاد إلى نجد، واسترد الحكم. ويذكر بلجريف مرة أخرى أن الإمام فيصل كان في مصر، ومنها عاد إلى نجد، لكن ما ذكره بلجريف لا يؤيده ما ورد في المصادر التاريخية أو الوثائق العثمانية.

وبقدر ما اكتسبه خروج الإمام فيصل من مصر في المرة الأولى من غموض في المصادر العثمانية والعربية، فإن المصادر ذات العلاقة بالإمام فيصل بن تركي قد أفاضت في الحديث عن خروجه من مصر للمرة الثانية وعودته لاسترداد الحكم، إلا أنها اختلفت في رواية طريقة خروجه من مصر، فبعضها ذكر أنه هرب من السجن، وبعضها أشار إلى هربه بمساعدة من الخديوي عباس باشا، وبعضها أشار إلى أنه خرج بأمر من محمد علي باشا.

الروايات التاريخية في عودته الثانية من مصر:

١ - يذكر ابن بشر في أحداث عام ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م ومن نقل عنه مثل ضاري الرشيد "نبذة تاريخية عن نجد" وفلبي "العربية السعودية" وصلاح المختار "تاريخ المملكة العربية السعودية" أن الإمام فيصل بن تركي هرب ومعه ابنه عبدالله[١٢]،

(١٢) لم يشر ابن بشر إلى عودة ابنه محمد معه مع أنه أشار إلى ذهابه إلى مصر مع والده الإمام فيصل. ابن بشر ج٢، ص ٢٠٧.

وأخوه جلوي بن تركي، وابن عمه عبدالله بن إبراهيم بوساطة الحبال من أعلى سور السجن البالغ ارتفاعه حوالي (٧٠) ذراعاً، ثم ركبوا مطايا كانت تنتظرهم، وارتحلوا إلى بلاد شمر، يقول ابن بشر: "ولما أراد الذي بيده الحركات والسكون، القادر الذي يقول للشيء كن فيكون، إخراج الإمام فيصل من حبس الياس...، نزل من حبسه بحبال، لما أكثر التذلل والتضرع عند ربه والابتهال...، وكانت العساكر رصداً عليهم في مدخلهم ومخرجهم، والفرجة التي نزلوا معها عن الأرض أكثر من سبعين ذراعاً... وإذا هم قد واعدوا ركائب تحتهم؛ فركبوها وذلك في الليل فساروا إلى جبل شمر"(١٣).

٢ - يذكر سعود بن هذلول روايتين لخروج الإمام فيصل: إحداها أنه هرب من السجن، والأخرى أنه خرج بمساعدة الخديوي عباس باشا الأول، ولم يرجح إحدى هاتين الروايتين، إلا أنه ينفرد بذكر من صحبه إلى حائل بأنهم من عتيبة منهم محمد بن مروي وخزام الهرار(١٤).

ويعود سعود بن هذلول ليعارض رواية ابن بشر أن الإمام فيصل هرب من مصر، ويستبعدها بالنظر إلى صعوبة اجتياز الصحاري دون مساعدة، ومعه ثلاثون مرافقاً من

(١٣) يذكر ابن هذلول أن الإمام فيصل خرج من معتقله عام ١٢٥٩هـ، ومعه أولاده، ويقصد بذلك ابنيه عبدالله ومحمداً، ويرى ابن بشر أن الذي معه كان ابنه عبدالله.

(١٤) يذكر سعود بن هذلول أنهم من الرومة من بني شبيب، تاريخ ملوك آل سعود، ص ٢٤.

آل سعود وغيرهم، وقد ذكر ابن هذلول أسماء عدد منهم؛ لذلك يرى سعود بن هذلول أن الحكومة المصرية قررت إعادة الإمام فيصل إلى إمارة نجد، وأخذ التعهد عليه بعدم التعرض للحجاز، وأن محمد بن مروي وخزام الهرار كانا يعملان لدى الحكومة المصرية في تدريب الخيل، فكلفتهما بمرافقة الإمام فيصل(١٥).

ولا شك أن هذه الرواية تحتاج إلى مناقشة وتثبت قبل قبولها أو نفيها، لا سيما أنه اعتمد على كتاب "الدولة السعودية الثانية" لعبدالفتاح أبو علية الذي نقل عن محمود شاكر، وهي مراجع حديثة، وليست مصادر أصلية.

٣ - رواية حافظ وهبة، وهي تتشابه تماماً مع رواية سعود بن هذلول، ولكنها توضح الأمر أكثر، فقد أعطتنا تعليلاً للسبب الذي أخرج عباس باشا من أجله الإمام فيصل من السجن، ويعود إلى أن عباس باشا كان معجباً به وبعقله(١٦).

٤ - يرى أمين الريحاني أن خروج الإمام فيصل من السجن كان بإيعاز من محمد علي باشا؛ ليعيده حاكماً على نجد(١٧).

٥ - يرى عبدالله البسام في مخطوطة "تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق" ما نصه: "في هذه السنة (١٢٥٩هـ) قدم فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن

(١٥) سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، ص ٢٤ - ٢٥.
(١٦) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢٣٠.
(١٧) الريحاني، تاريخ نجد، ص ٩٥.

سعود إلى بلد الجبل عند عبدالله بن علي بن رشيد هارباً من مصر، وذلك بمساعدة عباس بن طوسون باشا بن محمد علي، وكان الأمر في ذلك الوقت لمحمد علي باشا ولابنه إبراهيم، وليس لعباس شيء من الأمر، إلا أنه كان محبباً عند جده محمد علي ومسموع الكلمة عند رجال دولته، وكان يجتمع كثيراً بفيصل بن تركي وهو محبوس، فقال له فيصل يوما: إن نجد صارت بيد عبدالله بن ثنيان، فلو أتخلص من الحبس، وأصل إلى نجد أنتزع الملك منه إن شاء الله تعالى، وأصير تابعا لأفندينا تحت أمره؛ فوعده عباس بأنه يدبر هذا الأمر له وأمره بكتمانه، ثم بعد أيام أحضر له ركائب وخيلا خفية، ووضعها بموضع بعيد عن مصر، واحتال في إخراجه من القلعة المحبوس فيها بمواطأة مع البواب سرا؛ فخرج ليلاً، ووصل فيه إلى المحل الذي فيه الركاب والخيل هو وبعض أتباعه وركبوها، وتوجهوا إلى نجد، وبعد يومين بلغ الخبر إبراهيم باشا، فأركب كثيراً من العسكر رجاء أن يدركوه، وكان ممن ركب معهم عباس باشا، فساروا يومين، فلم يدركوه، فرجعوا، ولم يزل فيصل سائراً حتى وصل إلى جبل شمر كما تقدم ومعه أبناؤه عبدالله ومحمد[١٨] وأخوه جلوي.

٦ - يرى أحمد زيني دحلان في كتابه "خلاصة الكلام" أن الإمام فيصل هرب من مصر بمساعدة عباس باشا ويورد النص الآتي: "صار أمر نجد لعبدالله بن ثنيان فلما بلغ

(١٨) بينما يرى ابن بشر أن الإمام فيصل عاد ومعه ابنه عبدالله. يرى ابن بسام أن ابنيه عبدالله ومحمد كانوا معه، البسام، ص ٣٠٧.

الخبر فيصل ابن تركي الذي أرسله خورشيد باشا إلى مصر محبوسًا، صار فيصل يدبر الأمر في هربه من مصر ليصل إلى نجد وينتزع الملك من عبدالله بن ثنيان؛ فسهل الله له ذلك بإعانة عباس باشا بن طوسون باشا بن محمد علي باشا وكان الأمر في ذلك الوقت لمحمد علي باشا ولابنه إبراهيم وليس لعباس باشا شيء من الأمر إلا أنه كان محببًا عند جده محمد علي باشا ومسموع الكلمة عند رجال دولته، وكان يجتمع كثيرًا بفيصل بن تركي وهو محبوس فقال له فيصل يومًا: إن نجد صارت بيد عبدالله بن ثنيان فلو أتخلص من الحبس وأصل إلى نجد أنتزع الملك منه إن شاء الله تعالى وأصير خادمًا لأفندينا وتحت أمره، فوعده عباس باشا بأنه يدبر هذا الأمر له وأمره بكتمانه، ثم بعد أيام أحضر له ركائب وخيلاً خفية ووضعها بموضع بعيد عن مصر واحتال في إخراجه من القلعة المحبوس فيها بمواطأة مع البواب سرا؛ فخرج في ليلة ووصل إلى المواضع التي فيها الركائب والخيل هو وبعض أتباعه وركبوها وتوجهوا إلى نجد، وبعد يومين بلغ هروبه إبراهيم باشا فأركب كثيرًا من العسكر يسيرون خلفه ليدركوه وكان ممن ركب معهم عباس باشا فساروا يومين فلم يدركوه فرجعوا"[١٩].

٧ - وفي "أصول الخيل" ترد رواية مشابهة تشير إلى دور غامض لعباس باشا في مساعدة الإمام فيصل على

(١٩) أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ط.١، القاهرة، ١٣٠٥هـ، ص ٣١٢-٣١٣.

الهرب من سجنه بمصر إلا أن هذه الرواية تؤكد نزول الإمام فيصل من سجنه الذي يرتفع في حدود سبعين متراً وأن إبراهيم باشا حينما علم أرسل فرقة للبحث عنه لكنها لم تصل إلى نتيجة وأن سبب ذلك وجود عباس باشا ضمن أفراد الفرقة المكلفة بالبحث عنه(٢٠).

٨ - كما أشار عبدالله بن خميس إلى خروج الإمام فيصل بن تركي من مصر إلا أنه لم يذكر تفاصيل الخروج سوى ما أشار إليه من أنها مدبرة، كما أكد على أن محمد بن مروي وخزام الهرار كانوا بصحبته(٢١).

٩ - وينفرد الأمير محمد علي ولي عهد المملكة المصرية(٢٢)، برواية فيها معلومات مهمة حول كيفية خروج الإمام فيصل بن تركي من القاهرة، فيقول: "بعد انتهاء حرب الوهابيين سيق إلى مصر كأسرى عائلة ابن السعود حيث سجنوا في القلعة حتى تصدر أوامر بخصوصهم من إسلامبول. وكان عباس باشا حينئذ كتخدا مصر(٢٣) ويشعر نحو العرب بعطف ومحبة وله صداقة بهم فأمر

(٢٠) حمد الجاسر، أصول الخيل العربية الحديثة، ص ١٩٥.

(٢١) عبدالله بن خميس، تاريخ اليمامة، ج٦ ص ٢، ٣.

(٢٢) الأمير محمد علي بن الخديوي توفيق باشا (١٢٩٢-١٣٧٤هـ/ ١٨٧٥-١٩٥٥م)، وعباس حلمي باشا الأول هو جده لوالدته، ووالدته هي الأميرة أمينة بنت إبراهيم إلهامي باشا بن عباس حلمي باشا الأول.

(٢٣) تولى عباس باشا منصب كتخدا والي مصر في غرة جمادى الأولى عام ١٢٥٤هـ/ ٢٢ يوليو ١٨٣٨م، وكتخدا الوالي أي وكيله.

علي باشا اللآله[٢٤] - إذ كان هذا الأخير يخلص لعباس باشا - أن يعمل اللازم لتهريب تلك العائلة العربية من القلعة. حكى لنا علي باشا ما فعله فكان يدخل الأكل إليهم بواسطة الطبكجي فخلع ملابسه ولف حول جسده حبلا طويلا ثم لبس ملابسه حتى أخفى الحبل وناوله مبردين لكي يبرد بهما عيدان النوافذ الحديدية وأخفى المبردين في حزام الرجل وفي عمامته وضع به خطابا به تفصيلات كيفية الهروب ليعمل الأسرى بموجبها، وأخبرهم أيضا أنه وضع تحت تصرفهم عشرة هجن تنتظرهم تحت سور القلعة، وتم بحمد الله كل ما رسم لهذه العملية وهربوا فعلا بواسطة هذا الترتيب. وفي اليوم التالي وجد الخفراء والنوبتجيين أثناء تفتيشهم اليومي الغرف خالية ممن كان فيها والنوافذ مكسورة، فأدركوا أنهم هربوا من النوافذ، وخافوا أن يخبروا محمد علي بالأمر، وقضوا يومين يتباحثون مع بعضهم في كيفية إبلاغ الخبر أو التمكن من القبض عليهم. فلما أيقنوا أن القبض عليهم من المحال اضطروا أن يذهبوا في اليوم الثالث إلى محمد علي باشا بسراية بشبرا[٢٥]. وأخبروه بما حدث فسكت محمد علي باشا وفكر قليلا ثم قال لهم: أتركوا الموضوع؛ لأن هذا هو عمل عباس، وهو لم يقدم عليه إلا بعد أن عرف أن فيه

(٢٤) علي باشا هو علي جمال باشا. والمعروف بعلي الجمالي، وكان مربيًا للخديوي عباس حلمي باشا الثاني وأخيه الأمير محمد علي.

(٢٥) كان خروج الإمام فيصل من السجن في غرة المحرم عام ١٢٥٩هـ/ ٣١ يناير ١٨٤٣م.

خيراً، وفعلا صار بعد ذلك فيصل ابن السعود أكبر صديق لعباس باشا الأول، وكان رجال عباس باشا آمنين في جميع أقطار العرب، ولا يمسوا بأي سوء ولا يقاومهم أو يضادهم في أعمالهم أحد، وظل البطلان عباس باشا وفيصل إلى نهاية حياتهما أخوين متصادقين"(٢٦).

١٠ - أما الوثائق العثمانية فحسب التسلسل التاريخي تشير إلى أن الإمام فيصل خاطب والي جدة العثماني يطلب منه أن تقوم الدولة العثمانية بفك أسره، وأن يعود إلى نجد والياً وتابعاً للدولة العثمانية، ثم نجد أن خطاباته لم تجد لها صدى وإجابة لدى الدولة العثمانية، كما تشير الوثائق في مرحلة أخرى إلى هرب الإمام فيصل مع أنه كاتب الدولة العثمانية بعد استرداده الحكم بالاعتراف بالخلافة العثمانية. ويمكن استعراض الوثائق العثمانية ذات العلاقة بعودة الإمام فيصل من مصر حسب التسلسل التاريخي بدءاً برسالة الإمام فيصل بن تركي إلى والي جدة عثمان باشا يطلب فيها التوسط له لدى الباب العالي بالعفو عنه، والسماح له بالعودة إلى نجد، وترد الرسالة بالنص الآتي: "فخر الأمراء الكرام، قطب الوزراء العظام، حامي حمى الحرم الشريف الحائز من

(٢٦) أمدني بهذه الرواية وهوامشها الأخ الأستاذ/ حمد بن عبدالله العنقري، وهذه الرواية وتحقيقها إضافة إلى روايات أخرى ووثائق تتعلق بالتاريخ السعودي والمصري وأصول أسرة محمد علي باشا وفروعها ضمن أوراق ومقالات الأمير محمد علي؛ هي قيد النشر في بحث للعنقري سينشر قريبًا بإذن الله تعالى، عنوانه: ولي العهد المصري الأمير محمد علي توفيق ورواياته التاريخية.

المجد التالد والطريف، وبعد تقبيل الأيادي الكرام، والدعاء على الدوام، فقد سبق هذا من أن الداعي إلى السدّة السنيّة آلوكة[٢٧]، عسى أن يكون المولى سبحانه وتعالى قد منّ بوصولها وهي معربة عن استعطاف أفندينا في الشفاعة لدى الدولة العلية أن يفسحوا للداعي وأقاربه وأولاده في النقلة إلى أحد الحرمين الشريفين أو إلى بلاده، وإن هم شرّفوا الداعي، وأنعموا عليه بخدمته لفخرهم في الجهات النجديّة، فهم أهل المراحم السنية والأيادي العلية بما هو أجل من هذه القضية، ومهما يصدر من مراسم الفخر الملوكي من الأوامر العلية، يتعب الداعي فيه فكره وفهمه، وينضي خيله ورجله وجسمه حتى يتم على أحسن حال، وينتظم على أسلوب يليق بمقام الفخر الملوكي والأمر العالي، وحسبما عينوا وقدّروا من الدراهم والرهائن يكون رهين الإعلام والإشارة، ولا يألو الداعي في الخدمة جهداً، ولا ينقض عهداً، ولا يخلف وعداً بحول الله سبحانه، ثم بهمّة الدولة العلية، وإسعادهم يجول الداعي ويصول حتى ترجع فروع الجهات النجدية وأطرافها إلى الأصول، وإذا امتحنت المراحم السنية خادمها الداعي المسجون، فبعد الامتحان يُكرم المرء أو يهان، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] هذا والمسؤول الله - سبحانه وتعالى - أن يطيل بقاء خليفة الله في الأرض حتى يُؤدّي في ظل عدله النفل والفرض، وأن يديم

(٢٧) الآلوكة: الرسالة.

سبحانه شرف أفندينا في هذه الوزارة العظمى متوسلين في ذلك بخير خلق الله في الأرض والسماء، والأمر لمن له الأمر...."[٢٨]. وحينما أُرسلت هذه الرسالة إلى عثمان باشا والي جدة في ذلك الوقت، قام على الفور بإرسال رسالة إلى السلطان العثماني، فيها تقرير عن هذا الموضوع، يقول فيها: إنه حتى هذا التاريخ لم ترد أي أخبار لا عن خالد بك ولا عن الأمير عبدالله بن ثنيان، ولكن وردت اليوم رسالة استرجاع إلينا منذ ثلاثة أشهر ماضية من طرف الشيخ فيصل بن تركي المقيم محبوساً في مصر الآن، يطلب فيها ملتمساً مساعدة الباب العالي، وموافقته في تخليصه من هذا الحبس في مصر، ومساعدته في الإقامة في بلده أو في بلاد الحرمين، وسوف يكون تحت طاعة الدولة العثمانية في كل وقت.

ثم يشير الوالي المذكور برأيه في هذا الموضوع من خلال الرسالة نفسها، إلى أن الشيخ فيصل بن تركي، مرعي الخاطر بين مشايخ العربان في منطقة نجد، ولو أنه أُرسلت هدايا إلى طرف نجد والرياض مع الشيخ فيصل، فإنه سوف يتعهد بأداء المصلحة والتبعية والحماية، وسوف يحضر أولاده وإخوته وأولادهم، ولو أنه تم تخليصه من الحبس، فهل ستُحال إلى عهدته حُكم نجد أم لا؟ أم سيتم التفضل بالإمارة هناك على خالد بك فالأمر للسلطان[٢٩].

(٢٨) الأرشيف العثماني، تصنيف I.Mes.muh.1798.

(٢٩) الأرشيف العثماني، تصنيف Irade. Vala.771.

والظاهر من الوثائق والرسائل المتبادلة أن والي جدة كان يميل إلى تخليص الإمام فيصل من حبسه في مصر؛ لأنه في هذه الحالة لن يكون هناك حاجة لتدبير أموال وإرسالها إلى الجنود الموجودين في نجد، حيث سيقوم الإمام فيصل حسب رأيه عند توليه الإمارة بعمل ذلك وتوفير مبالغ على الخزينة الحكومية(٣٠).

وفي الوقت الذي تم فيه ذلك قام الأمير عبدالله بن ثنيان آل سعود بإرسال عريضة تحمل توقيعات عدة لعدد من آل سعود وأعيان المناطق وشيوخ القبائل(٣١)، يبلغ فيها والي جدة عثمان باشا بالأحداث المؤسفة التي قام بها

(٣٠) الأرشيف العثماني، تصنيف I.Mes.muh.1798.

(٣١) من هذه الأسماء التي وردت في العريضة عبدالرحمن بن حسن، علي بن حسين، عبدالرحمن بن حسين، إبراهيم بن سيف، محمد بن مقرن، إبراهيم بن عبيد، جمعان بن ناصر، عبدالله بن عبداللطيف بن نعيم، عبدالله أبا بطين، أحمد بن مشرف، عبدالله الوهيبي، عبدالعزيز بن عبدالجبار، علي بن خميس، عمر بن عفيصان، موسى الحملي، سعدون بن سيف، عبدالرحمن بن مانع، علي بن غانم، محمد بن حسين، فهد بن عفيصان، فواز بن محمد، إبراهيم بن عبدالله، منصور بن محمد، عمر بن خريف، زيد بن هلال، تركي الهزاني، سيف بن عفنان، جاسر بن فريان، إبراهيم بن رواف، دخيل الله بن شرف، عبدالرحمن بن عبيكان، مبارك بن محمد، مهدي بن طميهير، إبراهيم بن سلطان، ناصر بن جبرين، علي بن عبدالله، محمد البواردي، عبدالعزيز العنقري، حمد آل مبارك، عبدالعزيز بن عياف، عبدالله آل ناصر، سعد بن محمد، راشد بن جفران، سليمان بن محمد، حمد بن عياف، صالح بن راشد، يوسف بن عمران، سعود بن فرحان، محمد بن حمد، سعود بن عياف، سعد المطيري، منصور بن نافع، محمد الدويش، عساف أبو اثنين، فهيد الصييفي، سلطان بن ربيعان، قحاي بن عضيب، فلاح بن حثلين، شافي بن شبعان، فيصل بن لحيان، محمد بن هادي، محمد بن سالم.

الأمير خالد بن سعود في منطقة نجد ومعاملته السيئة للأهالي هناك[٣٢]، وفي هذا دليل على أن الدولة العثمانية كانت تفكر في البديل لهذه الإمارة، وربما تكون فكرت في الإمام فيصل حينما كان مسجوناً في مصر. ولكن لم تكن رغبة محمد علي باشا تميل إلى ذلك الرأي.

وخلال أشهر عدة وردت رسالة من شريف مكة يقول فيها: إن فيصل بن تركي استطاع الفرار من محبسه في مصر، ووصل إلى نجد، واستطاع بمعاونة بعض أقاربه التعدي والاستيلاء على المنطقة، وهو ما أورده محمد علي باشا والي مصر في تقريره المرسل أيضاً[٣٣].

وبين هذه المراسلات لم تتضح المعلومات الخاصة بكيفية الهرب، والجهة التي ساعدته على ذلك، وخصوصاً أن الدولة العثمانية لم تردّ على خطابات الإمام فيصل أثناء حبسه، وبرأيها في موافقتها على تخليصه أم لا؟! لذلك يتضح عدم رضا السلطان العثماني على إطلاق سراحه أو عودته لتولي الحكم لا سيما أن محمد علي باشا لم تكن لديه رغبة في الإفراج عن الإمام فيصل كما اتضح من خلال المراسلات السابقة[٣٤].

---

(٣٢) الأرشيف العثماني، تصنيف Irade.Mec Muh 1798.

(٣٣) الأرشيف العثماني، تصنيف I.Mes.Muh. 1798.

(٣٤) سبق أن ورد إلى الدارة وثيقة مرسلة من الأمير عبدالمحسن بن إبراهيم بن مشاري إلى أسعد بيك بتاريخ ٥ جمادى الأولى ١٢٥٩هـ يشير فيها إلى أنه صدر من الباشا إجازة لأولاد فيصل وحريمه يتوجهون إلى والدهم، وأنه لم يبق في مصر سواه وابنه واثنين من الفقهاء وبعض الحريم والأتباع، ويأمل أن يسمح لهم بالمغادرة إلى أوطانهم. وقد أشار الأستاذ عبدالرحمن الرويشد في تقرير له عن هذه =

ومن خلال تتبع الأحداث السياسية في تلك الفترة يتضح أن التحالف الأوروبي العثماني ضد محمد علي، وتوقيع معاهدة لندن في ١٢٥٦/٥/١٥هـ الموافق ١٨٤٠/٧/١٥م، والتي أجبرت محمد علي باشا على سحب قواته من الشام كان لها دور في إطلاق محمد علي باشا سراح الإمام فيصل، أو الإيعاز لعباس باشا بمساعدته في إطلاق سراحه، لكن من خلال الوثائق لم نجد ما يشير إلى ذلك، ويمكن أن يكون لهذه المعاهدة وهزيمة محمد علي باشا في الشام وقرار السلطان العثماني بعزله، ثم إعادته دور في التساهل في مسألة حراسة الإمام فيصل وسهولة اتصالاته التي تمكن من خلالها من الترتيب مع بعض أتباعه؛ لتسهيل هربه من مصر، والوصول إلى جبل شمر واستعادته الحكم(٣٥).

وبعد عودة الإمام فيصل، واسترداده الحكم قام بإرسال رسالة إلى والي جدة عثمان باشا مع أحمد السديري(٣٦)

= الوثيقة إلى أن المذكور من آل مشاري بهذا الاسم قد توفي عام ١٣٨٢هـ، ولا يمكن أن يعاصر الإمام فيصل منذ عام ١٢٥٩هـ، وبعد مراجعة الوثائق العثمانية تأكد ما ذهب إليه الأستاذ عبدالرحمن الرويشد فقد ورد في الوثيقة العثمانية CEVDET-DAH. 1986 عبارة "... بأن الشخص المدعو عبدالمحسن وهو من أهالي نجد المقيمين في مصر..."؛ مما يعني أنه لم يكن أميراً من آل سعود.

(٣٥) يرجع في ذلك إلى كتاب عصر محمد علي لعبدالرحمن الرافعي، الهيئة العامة للكتاب.

(٣٦) أحمد بن محمد بن تركي بن سليمان السديري، ولد في الغاط، وطلب العلم على يد عدد من العلماء، شارك في المعارك السعودية ضد قوات محمد علي، وفد على الإمام تركي عام ١٢٣٩هـ، وكان أميراً على الغاط، تولى إمارة سدير عام ١٢٥٤هـ، ثم إمارة الأحساء في العام نفسه، ثم إمارة القطيف عام ١٢٥٨هـ، وفي عام ١٢٧٠هـ، أميراً للبريمي، توفي عام ١٢٧٧هـ.

يشير فيها إلى أن الله - سبحانه وتعالى- أظهر الحق على الباطل ويلتمس أن يبلغ السلطان العثماني عدم تصديق كل ما قيل عنه في الماضي، ويبلغ حسن إدارته في نجد مع الأهالي، وطاعتهم له والرفق بهم، وأنه يلتمس رضا المولى عز وجل، ولم يشر الإمام فيصل في هذه الرسالة إلى شكر السلطان العثماني أو محمد علي باشا أو والي جدة على مساعدته؛ مما يدل دلالة واضحة على خروجه دون إذن السلطان العثماني أو مساعدة والي جدة(٣٧).

ومما لا شك فيه أن والي جدة كان له جهد في محاولة لفت نظر السلطان العثماني للإمام فيصل، وهو ما توضحه تلك الرسالة التي قام الإمام فيصل بن تركي بإرسالها إلى عثمان باشا رداً على رسالة الأخير له. يقول فيها: إن رسالته وصلت إليه، وهو مقتنع تماماً بما جاء فيها، وسوف يمتثل لطاعة الدولة العثمانية، ويرجوه أن يتوسط لدى الدولة العثمانية في تقريره المرسل عن صلاح الأحوال في إمارة نجد(٣٨).

أما عن علاقته بعباس باشا فمما لا شك فيه أنه نشأت بينهما صداقة، وعلاقة ودّ؛ بدليل الهدايا التي أرسلها الإمام فيصل بعد عودته إلى عباس باشا، وهي عبارة عن مجموعة من الخيول العربية الأصيلة، ومع ذلك يبقى دور عباس باشا غامضاً، ولا يمكن القطع والجزم بمساعدته أو نفيها للإمام فيصل في خروجه من مصر.

(٣٧) الأرشيف العثماني، تصنيف I.Mes.Muh.2437.

(٣٨) المصدر السابق، تصنيف I.Mes.Muh.2437.

والخلاصة في هذا الأمر أن الدولة العثمانية لم يكن لديها علم بعملية الهرب، ولم تكن قد ساعدت فيه، أو أنها فكرت في تعيين الإمام فيصل والتفاضل فيها بينه وبين آخرين. وكان لديها قناعة بعدم موافقة محمد علي باشا بهذا الأمر؛ مما يدل على أن تنفيذ الهرب كان بعيداً تماماً عن والي مصر وعن الدولة العثمانية، وكذلك لم يكن لوالي جدة عثمان باشا دور في عملية مساعدته على الهرب، وفي التوسط لدى الباب العالي لاستقرار فيصل في نجد وتوليه الإمارة.

ومع ذلك يظل هذا الموضوع بحاجة إلى مزيد من الدراسة المتأنية، والاطلاع على الوثائق العثمانية والمصرية التي لم يتم الاطلاع عليها أو لم تتم ترجمتها، وفيها ما قد يوضح حقائق تاريخية مهمة ذات علاقة بالموضوع.

الملاحق

وثيقة رقم (١)

من أحداث عام ١٢٣٣هـ من كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد للمؤرخ عثمان بن بشر توضح مشاركة الإمام فيصل في الدفاع عن الدرعية، تحت قيادة والده الإمام تركي بن عبدالله.

وثيقة رقم (٢)

ورقة من كتاب المقامات للشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب توضح أن من نقل من آل سعود وآل الشيخ إلى مصر كان بعد سفر الإمام عبدالله إلى مصر سنة ١٢٣٣هـ.

وثيقة رقم (٣)

(الأرشيف العثماني تصنيف Hatti hamayun 19698.B) وثيقة عثمانية تتضمن قائمة بأسماء من وصلوا إلى مصر سنة ١٢٣٤هـ من آل سعود وآل الشيخ.

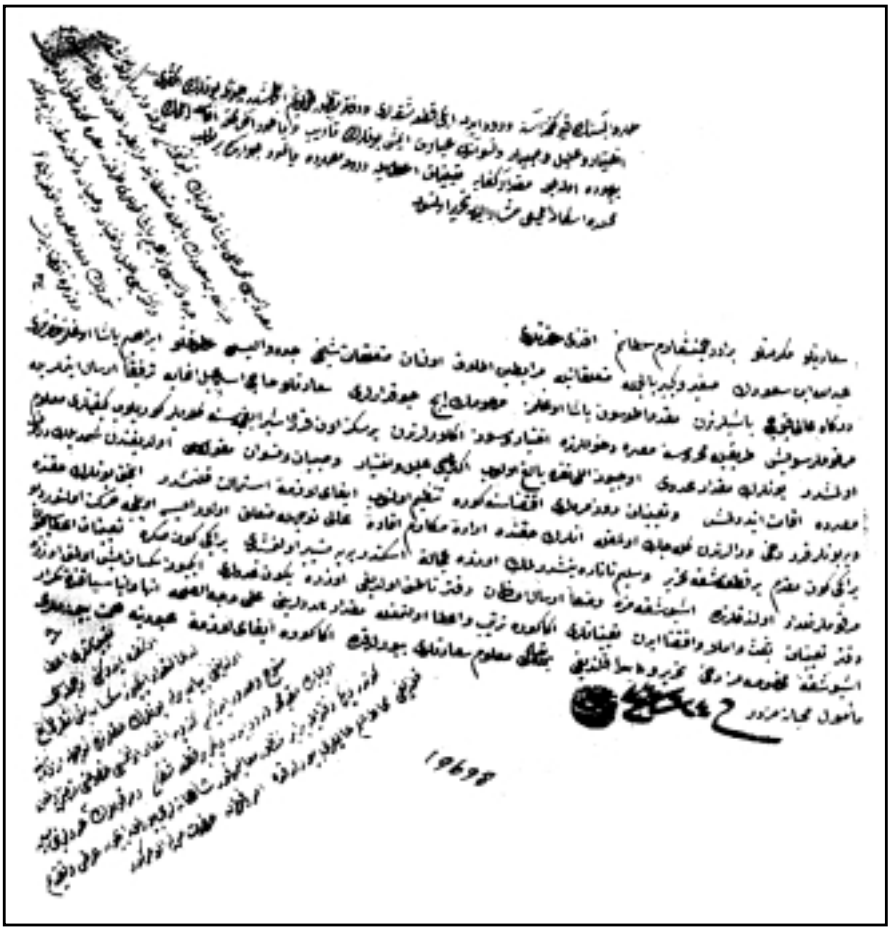

وثيقة رقم (٤)

(الأرشيف العثماني تصنيف Hatti hamayun 19698.B) وثيقة عثمانية تتضمن رسالة من محمد علي باشا والي مصر بتاريخ ١٤ رجب ١٢٣٤هـ، بشأن الإبلاغ عن قيام إبراهيم باشا بالقبض على عدد من أسرة الإمام عبدالله بن سعود وحاشيته وعبيده، وقد تم إرسالهم بصحبة إسماعيل أغا، وأن عددهم حوالي ٣٥٠ شخصًا، وهم الآن في طريقهم بحرًا إلى ميناء السويس ومنه إلى مصر، وفيهم الشيخ الكبير، والعليل، بجانب عدد من الصبيان والأولاد والنساء، وسوف يقيم الجميع مدة في مصر، وسوف تُصرف لهم التعيينات المالية والتموينية والغذائية على الفور.

وثيقة رقم (٥)

ورقة من مخطوط "عنوان المجد" تشير إلى وصول الإمام فيصل من مصر إلى الرياض عام ١٢٤٣هـ.

وثيقة رقم (٦)

ورقة من مخطوط "عنوان المجد" تشير إلى وضع الإمام فيصل في سجنه في مصر .

وثيقة رقم (١/٧)

كتاب "تحفة المشتاق" بخط مؤلفه عبدالله بن محمد البسام المتوفى سنة ١٣٤٦هـ. نسخة محفوظة بدارة الملك عبدالعزيز تشير إلى قدوم الإمام فيصل من مصر إلى حائل عام ١٢٥٩هـ.

وثيقة رقم (٢/٧)

تكملة لما ورد في كتاب تحفة المشتاق بخط مؤلفه عبدالله بن محمد البسام، عن تحركات الإمام فيصل لاسترداد الرياض ١٢٥٩هـ.

وثيقة رقم (٨)

رسالة بتاريخ ٢٣ ربيع الأول ١٢٥٨هـ من الإمام فيصل بن تركي إلى عثمان باشا والي جدة، حول طلبه التوسط في إخراجه من السجن، وعودته إلى الحكم في نجد، أو الإقامة في بلد الحرمين الشريفين.

وثيقة رقم (٩)

(الأرشيف العثماني تصنيف irada-mec. vala. 771) وثيقة عثمانية تتضمن رسالة بتاريخ ٢٣ جمادى الآخرة ١٢٥٨هـ (من عثمان باشا والي جدة) تفيد المعلومات فيها بقيام أمير نجد (خالد بك) بالتوجه إلى الأحساء، وفي الوقت نفسه قام أحد أقاربه ويدعى (الأمير عبدالله بن ثنيان) بحشد عدد كبير من العربان ومشايخهم وقيامه بالسيطرة على نجد ومطالبته بخضوع مشايخ العربان هناك للدخول في طاعته.

وبالنسبة لمنصب إمارة نجد، فلقد أرسل عبدالله بن ثنيان التماسًا مؤيداً من شريف مكة المكرمة وأرسلناه إلى مركز الدولة بإستانبول، يطلب تعيينه أميراً على نجد، وأرسلنا خطاباً لفيصل بن تركي المحبوس في مصر لأخذ رأيه ومشورته في الموضوع فلم يرد علينا بـ (لا) أو (نعم)، وبعدها بفترة أرسل إلينا التماساً أيضاً يطلب تعيينه أميراً على نجد.

وإن من رأينا القيام بترشيح فيصل بن تركي أميراً على نجد والموافقة عليه، نظراً لخبرته الطويلة ولسنوات عديدة في هذا المنصب، وكذلك بعد تأكدنا من ارتياح مشايخ نجد لتعيينه أميراً على نجد أكثر من الأمير عبدالله بن ثنيان، وإن هذا التعيين سوف يكون مفيداً للدولة لأن فيصل بن تركي استفاد من فترة حبسه في مصر التي كانت لتأديبه عدة سنوات، وكان لهذه التجربة أثرها الإيجابي على فكره من ناحية، وفي الوقت نفسه شعر بأن الأمر في نجد بيد الدولة العثمانية وسوف يقوم على خدمتها أفضل من أي وقت آخر هذا من ناحية أخرى.

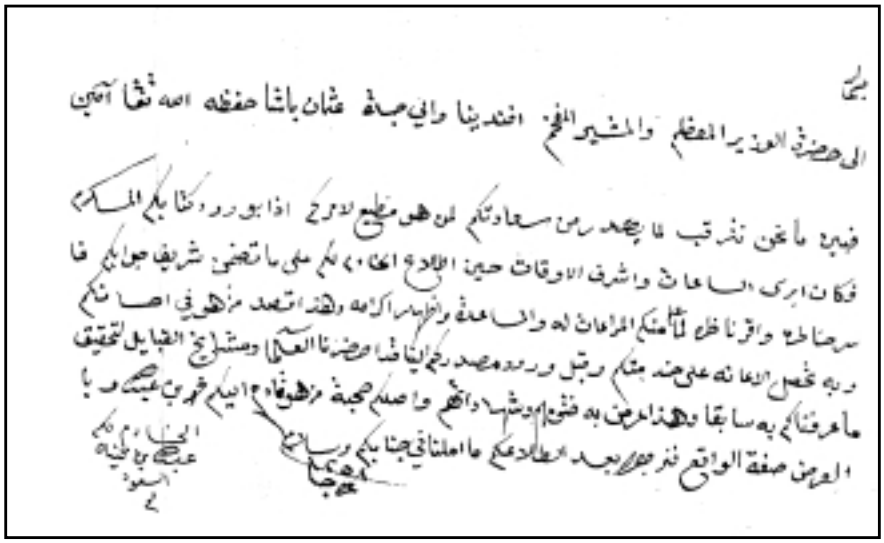

وثيقة رقم (١٠)

رسالة من الأمير عبدالله بن ثنيان

إلى والي جدة، مرفق بها شكوى الوجهاء والأمراء من الأمير خالد بن سعود.

وثيقة رقم (١١)

رسالة من الأمير عبدالله بن ثنيان

إلى والي جدة، وعليها أختام الوجهاء والأمراء في الشكوى من الأمير خالد بن سعود.

وثيقة رقم (١٢)

معروض (والي جدة) حول وصول الأخبار بفرار الإمام فيصل بن تركي من سجنه بالقاهرة ووصوله إلى جبل شمر، وأنه طلب توجيه إمارة نجد إليه، نظراً لأن أهالي نجد يحبونه ولن تكون هناك مشاكل في المنطقة، ومذاكرة أمير مكة المكرمة مع الوالي بهذا الصدد (الأرشيف العثماني تصنيف Irade. Mesail-L Muhimme 1798).

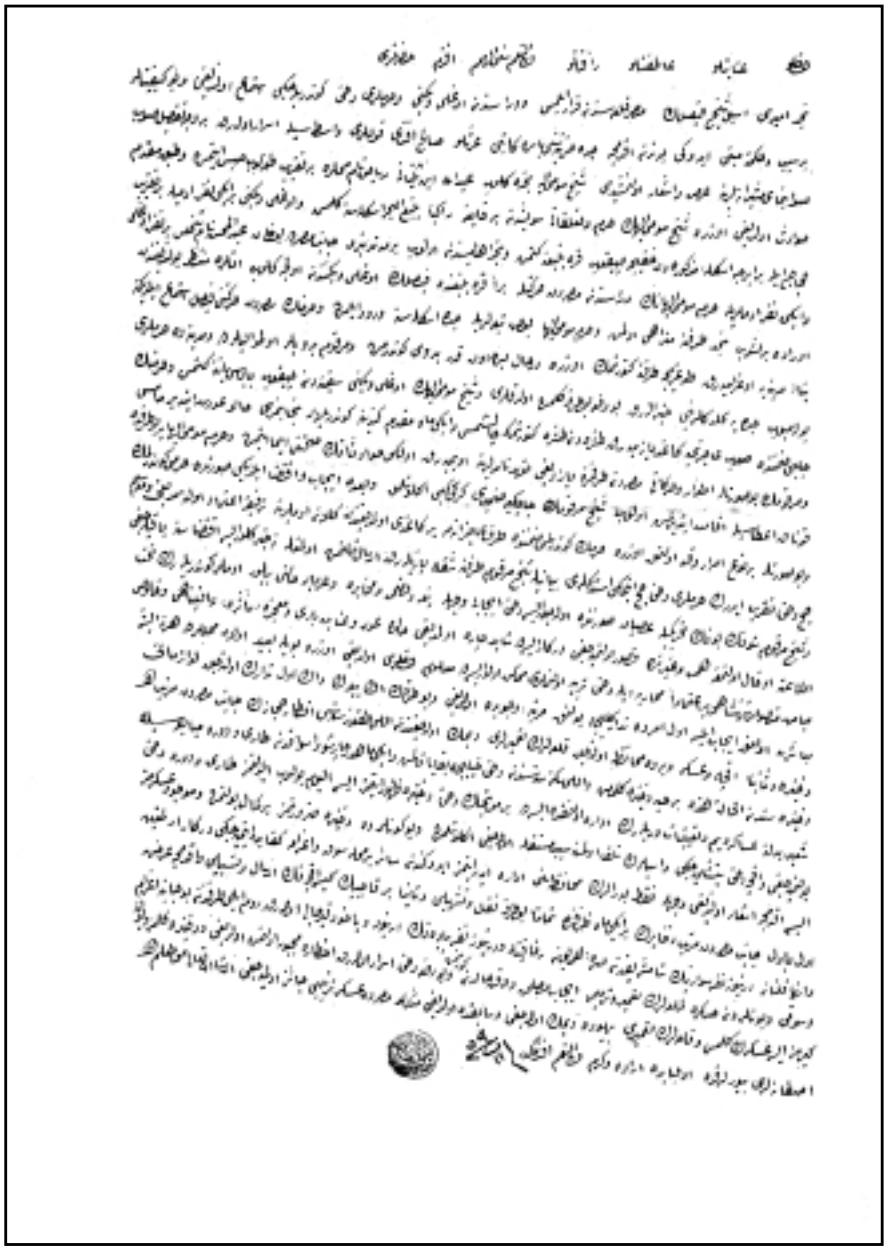

وثيقة رقم (١٣)

تقرير عن فرار الإمام فيصل بن تركي من مصر ووصوله إلى نجد
وقيامه بسجن الأمير عبدالله بن ثنيان وتفصيلات الأوضاع في نجد عام ١٢٥٩هـ.

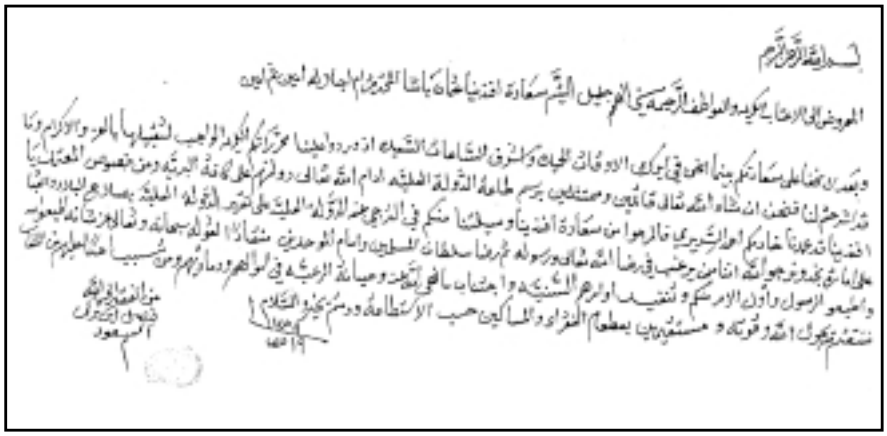

وثيقة رقم (١٤)

رسالة من الإمام فيصل إلى والي جدة مع أحمد السديري

(الأرشيف العثماني تصنيف I. Mec. Muh.2437)